الفصل الخامس
القدس في التراث الإسلامي

أدرك المسلمون أهمية بيت المقدس بالنسبة للعقيدة الإسلامية. فقد ارتبطوا ارتباطاً وثيقاً بالقرآن الكريم وآياته. فعرفوا من خلال مقدمة سورة الإسراء أهمية الربط الإلهي بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وأدركوا أن المسجد الأقصى لا يقل أهمية عن المسجد الحرام؛ فكلاهما مكانان خصهما الله بالقداسة والمباركة، وأدركوا أنهم أحق الناس بحمايتهما من الشرك والوثنية والحقد اليهودي الكبير.

وكانت البدايات أن ذلك التحرك الإسلامي زمن رسول الله ﷺ باتجاه الشمال العربي. ينطلق من الجزيرة ليستكمل دائرة التوحيد بتحرير الأقصى وبلاد الشام ونشر الدعوة الإسلامية في آفاق الدنيا.

توجهت جحافل المحررين نحو الشام ونحو العراق. وبدون تحرير الأقصى ليست هناك أراض أحق بالتحرير. فأول الأمر كان على ديانة التوحيد أن تستكمل الدائرة القدسية ثم تنطلق داعية إلى عبادة الله الواحد في فارس وأقطار العالم القديم.

بدأ التوجه نحو بيت المقدس حينما بعث رسول الله ﷺ بكتابه إلى هرقل ملك الروم، وكان آنذاك في بيت المقدس يحتفل بالنصر على الفرس عام 628 ميلادي، الذي يوافق تماماً أواخر السنة السادسة أو أوائل السنة السابعة للهجرة لأن الهجرة النبوية كانت في 23 أيلول 622م واحتفال هرقل كان في 14 أيلول سنة 628 ميلادي. روى البخاري في كتاب بدء الوحي باب 6 أن رسول الله ﷺ كتب إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام بعد العودة من الحديبية.

ويرى المؤرخون أن الكتاب أرسل في محرم من بداية السنة السابعة للهجرة، وكان أبو سفيان بن حرب قد خرج إلى الشام في تجارة في مدة هدنة الحديبية فصادف وجوده وصول كتاب النبي ﷺ إلى هرقل، وكان هرقل يومها في القدس إيلياء فطلب هرقل من شرطته أن يبحثوا في الشام عن رجل من قوم النبي ليسأله عن شأنه، فوجدوا أبا سفيان في غزة هاشم حرسها الله، فأتوا به إلى هرقل وسأله عن صفات محمد بن عبد الله، وكان أبو سفيان يومها مشركاً فأجابه بما وقر في قلبه من صفات النبي ﷺ.

وقد جاء في الروايات والحديث الصحيح الذي رواه البخاري في كتاب بدء الوحي ج/ 5 قال هرقل لأبي سفيان: فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدميّ هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أظن أنه منكم.

ويجدر بنا أن نتوقف قليلاً عند هذه الأحداث لنرى كيف تسارعت الأيام وكيف لعبت الأطراف في المنطقة دورها.

فالفرس انتصروا على الروم واستولوا على بلاد الشام ومن بينها القدس. وقد فرح اليهود بذلك وأعانوا الفرس عوناً كبيراً، وأخذوا يجرون المذابح بالمسيحيين الذين هم في القدس وفلسطين. ولم يلبث الروم أن انتصروا على الفرس تارة أخرى، أما هرقل فتقول الروايات إن القادة الرومان ضغطوا عليه كثيراً بسبب ميله إلى الدين الجديد. وهذا الضغط أدى بالتالي إلى رفض الشروط الإسلامية الجزية أو الدخول في الإسلام أو الحرب، وقَبِل أن يحارب المسلمين على مضض وكانت نتيجة حربه الخسارة والخروج نهائياً من الأرض العربية.

أما عن التحرك العسكري الإسلامي نحو بيت المقدس، فكما قلنا بدأت الأنظار تتجه إلى تحرير الأقصى منذ حادثة الإسراء والمعراج، وبعد أن عرف المسلمون معنى ربط المسجد الحرام بالمسجد الأقصى في آية قرآنية واحدة.

ومنذ السنة الخامسة للهجرة بدأ رسول الله ﷺ يبعث السرايا على الطريق بين المدينة وبلاد الشام. ففي السنة الخامسة كانت غزوة دومة الجندل وهي على بعد 450 ك م شمال

تيماء، وفي السنة السادسة بعث النبيﷺ بعثمان بن عفان على رأس سرية مرة أخرى إلى دومة الجندل، وفي السنة السابعة كانت غزوة خيبر لأن يهودها كانوا يهددون الطريق إلى الشام، وفي السنة الثامنة كانت سرية كعب الغفاري إلى ذات أطلاح من ناحية الشام وهي في منطقة وادي عربة، وفي السنة الثامنة نفسها كانت غزوة ذات السلاسل بقيادة عمرو بن العاص، وفي نفس السنة كانت سرية زيد بن حارثة إلى حدود فلسطين، ثم جاءت غزوة مؤته وتبوك، وفي السنة الحادية عشرة كانت سرية أسامة بن زيد وأمره الرسول ﷺ أن يصل إلى دير البلح في جنوب فلسطين، لكن الغزوة توقفت فترة بسبب وفاة الرسول ﷺ ثم تابعت مسيرها بمجيء الخليفة أبي بكر الصديق، رضي الله عنه.

وبدءاً من السنة الثانية عشرة بدأت الجيوش الإسلامية تزحف نحو الشام بأمر من الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فعقد لواءً لخالد بن سعيد ثم أتبعه بلواء ليزيد بن أبي سفيان، ثم بلواء لشرحبيل بن حسنة، ثم بجيش على رأسه أبو عبيدة عامر بن الجراح، وخرج عمرو بن العاص. وقد اتجه كل جيش في طريق مختلف. ثم أمر الخليفة خالد بن الوليد بالتوجه إلى الشام وترك الجبهة الفارسية.

وبدأ الصراع المسلح بين المسلمين والروم في عدة معارك؛ بدءاً من معركة دافن شرقي دير البلح، ثم معركة أجنادين قرب الخليل، ثم معركة فحل زمن الخليفة الثاني عمر رضي الله عنه، ثم معركة اليرموك الحاسمة، وكانت نهاية الرومان أو بداية النهاية لوجودهم في بلاد الشام.

أتم عمرو بن العاص تحرير فلسطين وبقيت قيسارية؛ كونها تستمد العون والمدد من البحر، وحاصر القدس بعد أن تحصن أهلها داخل الأسوار، واستمر الحصار أربعة أشهر، فطلبوا من أبي عبيدة الذي جاء مسانداً لعمرو بن العاص الصلح مثل باقي مدن الشام، وأن يحضر الخليفة نفسه لتوقيع المعاهدة والصلح. . وكتب أبو عبيدة إلى الخليفة بذلك، وبعد مشاورة الصحابة ذهب الخليفة عمر إلى بيت المقدس على راحلة دون حرس أو جنود مرافقين.

وقد اجتمع الخليفة مع قادة المسلمين في الشام في مكان يدعى الجابية. وتقول المصادر إن وفداً من أهل القدس جاء الخليفة وهو في الجابية، ثم لبى الخليفة طلب أهل القدس وكتب العهدة العمرية لأهل بيت المقدس.

وقد جاء فيها: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أن لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود. وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت (اللصوص).

فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم. ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان (كذا) فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فإنهم لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية شهد على ذلك خالد بن الوليد. وعمرو بن العاص. وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشرة.

والواقع أن أهل القدس هم الذين طلبوا من الخليفة عدم سكن اليهود معهم في المدينة؛ وذلك بسبب ما عانوه من قتل وذبح من قبل اليهود أيام الغزو الفارسي.

وتوضح العهدة أن الروم مستعمرون وعليهم الخروج من القدس مثلهم مثل اليهود واللصوص كما ورد فيها، وأن أهل البلاد الفلسطينيين هم من تنصروا وحفظوا المسيحية حفظاً هم أحق به؛ لأن المسيح عليه السلام منهم وليس رومانياً.

ويذكر شهود عيان أن العهدة العمرية لا تزال موجودة ومحفوظة في كنيسة الروم الأرثوذكس (كنيسة القيامة) إلى يومنا هذا.

وعندما دخل عمر، رضي الله عنه، القدس خطب في أهلها مستهلاً خطبته: يا أهل إيلياء لكم مالنا وعلينا ما عليكم. وقد دعاه بطريرك القدس صفرونيوس لتفقد كنيسة القيامة فلبى الدعوة وأدركته الصلاة وهو فيها، فالتفت إلى البطريرك وقال له: أين أصلي؟ فقال: مكانك فصل، فقال: ما كان لعمر أن يصلي في كنيسة القيامة فيأتي المسلمون من بعدي ويقولون هنا صلى عمر ويبنون عليه مسجداً. وابتعد عنها رمية حجر ففرش عباءته وصلى، وجاء المسلمون من بعده وبنوا على مصلاه مسجداً، ثم سأل عمر البطريرك عن موضع المسجد الأقصى فدله. فوجده مغموراً بالقمامة ففرش عمر عباءته وأخذ يزيح بها القمامة من مكان المسجد الأقصى ويلقيها في الأودية واقتدى به قادة المسلمين ورؤساء الجند حتى طهروه تطهيراً ثم بنى عليه مسجداً.

يستدل من ذلك أن هناك مكاناً يدعى المسجد الأقصى، وكان يعرفه أهل البلاد؛ كونه مكاناً للسجود يؤمه المؤمنون، ولكنه أهمل بسبب وجود كنيسة القيامة التي أصبحت أهم مكان للعبادة بالنسبة للعقيدة المسيحية. ومعلوم أن هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين الذي تنصر في القرن الثالث الميلادي هي التي بنت كنيسة القيامة.

بمعنى أن المسجد الأقصى كان المعبد الأهم بالنسبة للمسيحية الأولى حيث كان السيد المسيح عليه السلام يتعبد فيه قبل أن يدخل الرومان المسيحية بثلاثة قرون؛ أي قبل بناء كنيسة القيامة بكثير.

والواقع أن أحداً من المؤرخين العرب الأوائل مثل الطبري والبلاذري لا يحدثنا عن بناء مسجد في القدس عند تسليمها لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، عام 637، على الرغم من أقوال المؤرخين المسيحيين مثل: ثيوفانيس وإلياس النصيبي وميخائيل السوري، تذكر بناء المسجد والتفاصيل الأسطورية المرافقة. ولكن ليس هناك شك في أن بناءً بدائياً شيد في هذا الوقت لأن (أركوف) الذي قدم حاجاً إلى

بيت المقدس حوالي 670م يقدم لنا وصفاً له فيقول: (ولكن في ذلك المكان المشهور حيث كان المعبد قائماً بروعته. وهو واقع في جوار الجدار من جهة الشرق يتردد المسلمون على مسجد رباعي الشكل بنوه بصورة بدائية، بوضع العوارض الكبيرة على بقايا الآثار ويقال إن هذا المكان يتسع لثلاثة آلاف رجل دفعة واحدة ويمكن أن يسمى هذا المسجد بالمسجد الأقصى الأول) [1].

وقد جدد عبد الملك بن مروان المسجد الأقصى الثاني، ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين، ونقش اسمه على القبة من تاريخ البناء سنة 2هـ. وقد بنى عبد الملك هذا المسجد فوق المسجد الأول، ثم أكمل بناءه ابنه الوليد بن عبد الملك.

في عام 141هـ زار الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور مدينة القدس. وقد أمر أن يؤخذ من طول المسجد الأقصى ويزاد في عرضه. وبعد أن جاء المهدي أمر بإعادة بناء المسجد بعد أن وقع، وبني هذه المرة بشكل جيد. وفي أواخر سنة 216هـ زار الخليفة المأمون العباسي المسجد الأقصى وهو في طريقه إلى مصر، وأمر بترميم ما يحتاج إلى إصلاح من منشأته. وكانت قد حصلت بعض الزلازل بعد إصلاح المهدي، فأمر المأمون بتوزيع بنائه على أمراء الأطراف وسائر القواد، وقام بالبناء قائده عبد الله بن طاهر بعد سنة 210هـ. وقد قام عدد من الخلفاء العباسيين بزيارة المسجد الأقصى.

وخضعت القدس للحكم الفاطمي سنة 359. وفي عام 407هـ سقطت القبة العظيمة التي على صخرة بيت المقدس ثم أعيد بناؤها في عهد الظاهر علي أبو الحسن. وفي سنة 425 خرب المسجد الأقصى خراباً كبيراً بسبب زلزال فعمره الخليفة الفاطمي الظاهر وضيّقه من الشرق والغرب. وقد ملك القدس أميران من السلاجقة، ولكن الفاطميين حاربوهما واستولوا على القدس حتى جاءت الحملة الصليبية الأولى فانسحب افتخار الدولة الفاطمي مؤمناً على روحه وغادرها إلى مصر، وترك مصير 70 ألف من المسلمين يقتلون ذبحاً في القدس من قِبَل الفرنجة. وبعد أن استتب الوضع

(1) الآثار الإسلامية الأولى صفحة 34 كريزويل.

لصلاح الدين استطاع تحرير بيت المقدس وتخليص الأرض المباركة من أيدي الصليبيين كما تقدم.

بدأ الزحف الصليبي على القدس في نيسان 1099 بقيادة ريمون سان جيل وتانكريد وكورتهوز ثم لحق بهم غودفروا بويون أحد قادتهم ووصل الصليبيون في السابع من حزيران إلى تل يطل على مدينة القدس. وبدأ الحصار عسيراً وتوقعته الحامية منذ تاريخ مديد، وأمنت التموين لزمن طويل، بينما كان الصليبيون يبحثون عن الماء. ولكن الصليبيين بدأوا الهجوم الأول في 13 حزيران وأخفق إخفاقاً ذريعاً. وبعد هذه التجربة المرة اتخذ الزعماء الصليبيون حيطتهم وقاموا بأعمال كبرى. وفي ليل 13 ـ 14 تموز 1099 أعطي الأمر بالهجوم العام على القدس ودام طوال نهار 14 تحت سيل السهام والقذائف المحرقة، وفي 15 تموز نفذ قسم من الصليبيين إلى المدينة ثم هوجمت من عدة جهات، ودخلوا القدس وأجروا فيها مذبحة مروعة، وقتل من المسلمين ما يقارب سبعين ألفاً، منهم جماعة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف[1]. وقد نهب الإفرنج كل محتويات المسجد الأقصى من قناديل فضة وتحف، وكانت بالمئات، وحولوا المسجد الأقصى إلى كنيسة، وحوّلوا كثيراً من المدارس الإسلامية الفقهية وغيرها إلى مرابط خيول وحانات وأمكنة لنوم الجنود ومخازن. لقد كانت كنيسة القيامة قائمة يتعبد بها المسيحيون العرب، ولم تمس بسوء طوال عهد الأمويين والعباسيين، لكن الصليبيين الذين أتوا مستعمرين للأرض العربية طامعين بخيراتها لم يفهموا بعد الحس الديني، ولا إنسانية الدين، فبمجرد دخولهم القدس حولوا المسجد الأقصى كما قلنا إلى كنيسة وإلى أماكن تستخدم لشؤون جنودهم وخيولهم، وقد أبدى العرب الذين كانوا يدافعون عن المسجد الأقصى والآخرون الذين استحكموا في برج داود الواقع في القسم الغربي من مدينة القدس، مقاومة بالغة الشجاعة والجرأة في وجه الغزاة، وفي

(1) ابن الأثير الكامل في التاريخ ص 224 ـ مجلد 10.

آخر المطاف سلم افتخار الدولة الفاطمي المدينة للصليبيين بشرط أن يتوجه بحراً إلى مصر، وقد تم ذلك. وبعدما تجمع المسلمون في المسجد الأقصى ذبح الصليبيّون ما لا يقل عن عشرة آلاف شخص.

وتشير بعض المصادر إلى أن اليهود الذين سكنوا القدس وقدموا إليها تسرباً زمن الأمويين والعباسيين كانوا أيضاً ضحية الغزو الصليبي الغربي، وقد اجتمعوا كلهم في كنيس كبير وفيه أبادهم الصليبيون عن بكرة أبيهم، وقد أحرق الصليبيون مبنى الكنيس بمن بحث عن ملجأ فيه.

وقد أنشأ رجال الكنيسة خاصة خمس أبرشيات وتسع أسقفيات وأديرة عديدة، ونالت الكنيسة مكافأة على مساهمتها القوية في الحروب الصليبية. وقد انتقلت إلى الأحبار الكاثوليك الأملاك التي كانت تخص من قَبْلُ رجال الدين المسلمين، وكذلك جزئياً الأملاك التي كانت تخص الكنائس المسيحية بما فيها كنيسة الروم الأرثوذكس.

وفي المسجد الأقصى من الداخل بني قصر للفرسان الهيكليين الصليبيين. وقد حوله الملك بُدوان الأول إلى مكان للسكن، أمّا المبنى المجاور المتجه بواجهته صوب الجانب الجنوبي من المسجد الأقصى فقد كان أيضاً من جامع قبة الصخرة، وقد حوله الصليبيون إلى كنيسة سموها هيكل السيد، وخصصها ملك القدس وبطريرك القدس للهيكليين. وهذا ما يدل على أن المسجد الأقصى عبارة عن مبنى ضخم كبير يعتمد على 280 عموداً ضخماً وكان المعاصرون يشبهونه بجامع قرطبة الكبير، وقد تعرض المسجد الأقصى لتدميرات شديدة.

إن الغزاة الغربيين الجهلاء والأميين كانوا في هذه الحالة على خلاف مع الجغرافيا التاريخية الكنسية، وكانوا يؤمنون بالخرافات التي يبتدعها خيالهم الديني بالذات. أما في الواقع فإن هيكل سليمان القديم الذي محاه الرومان عن وجه الأرض في السبعينيات من القرن الأول الميلادي أثناء الحرب اليهودية كان يقع أبعد قليلاً إلى الشمال، وفيما بعد بنيت هنا هياكل أخرى، ففي القرن الثاني بنى الإمبراطور

الروماني هيكل جوبتر الكابيتولي، وفيما بعد في القرن الرابع حوّل الإمبراطور قسطنطين بعد اعتناقه المسيحية هذا الهيكل الوثني إلى كنيسة مسيحية، وبعد أن فتح العرب فلسطين سنة 637 أعيد بناء هيكل السيد[1].

دام استيلاء الصليبيين على المسجد الأقصى ومدينة القدس حوالي مئة سنة إلى أن برز دور جديد، دور للمسلمين بدأه عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود، ثم صلاح الدين الأيوبي، ونجحت جهودهم في توحيد القوى العربية والإسلامية خاصة أيام صلاح الدين، حين استطاع توحيد مصر والشام ومناطق الجزيرة الفراتية، وراح يضرب الصليبيين في معركة إثر معركة حتى استطاع أخيراً أن يحشد جيشاً قوياً قرب طبريا، وهناك حاصر الصليبيين في تل حطين، وبدأت معركة فاصلة بين الطرفين واستطاع العرب المسلمون كسب المعركة، ولم يبق أمامهم سوى القدس.

مهد صلاح الدين لاسترجاع القدس بتحرير مدن الساحل الشامي وقطع الإمدادات عن الصليبيين في القدس، ثم توجهت جيوش المسلمين وحاصرت القدس، حتى استسلمت وأُخرج الصليبيون منها.

يقول ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ: لما فرغ صلاح الدين من أمر عسقلان وما يجاورها من البلاد على ما تقدم، وكان قد أرسل إلى مصر الأسطول الذي بها في جمع من المقاتلة ومقدمهم حسام الدين لؤلؤ الحاجب وهو معروف بالشجاعة والشهامة ويُمْن النقيبة فأقاموا في البحر يقطعون الطريق على الفرنج كلما رأوا مركباً غنموه وشانياً أخذوه، فحين وصل الأسطول وخلا سرّه من تلك الناحية سار من عسقلان إلى بيت المقدس، وكان فيها البطريرك الأعظم عندهم وهو أعظم شأناً من ملكهم، وفيه باليان بن بيرزان صاحب الرملة أيضاً، وكانت مرتبته عندهم تقارب مرتبة الملك، وفيه أيضاً من خلص من فرسانهم من حطين وقد جمعوا وحشدوا واجتمع أهل تلك البلاد: عسقلان وغيرها.

(1) ميخائيل زوبوروف. الصليبيون في الشرق. دار التقدم ص 160 ـ 161.

ويتابع ابن الأثير: وبقي صلاح الدين خمسة أيام يطوف حول المدينة لينظر من أين يقاتله لأنه في غاية الحصانة، والامتناع فلم يجد عليه موضع قتال إلا من وجهة الشمال نحو باب عمود، فانتقل إلى هذه الناحية في العشرين من رجب ونزلها ونصب تلك الليلة المنجنيقات فأصبح من الغد وقد فرغ من نصبها ورمى بها.

ثم يقول: ووصل المسلمون الخندق فجاوزوه والتصقوا إلى السور فنقبوه.. فلما رأى الفرنج شدة القتال وتحكم المنجنيقات بالرمي المتدارك، وتمكّنَ النقابون من النقب، وأنهم أشرفوا على الهلاك اجتمع مقدموهم يتشاورون فيما يأتون ويذرون، فاتفق رأيهم على طلب الأمان وتسليم بيت المقدس إلى صلاح الدين. فأرسلوا جماعة من كبرائهم وأعيانهم في طلب الأمان فلما ذكروا ذلك للسلطان امتنع من إجابتهم وقال: لا أفعل بكم إلا كما فعلتم بأهله حين ملكتموه سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة من القتل والسبي وجزاء السيئة بمثلها.

وبعد مباحثات مطولة استقر الأمر على الصلح وخاصة أن صلاح الدين خشي أن يعمد الصليبيون إلى قتل الأسرى المسلمين المأسورين داخل القدس، وكان عددهم سبعة آلاف شخص.

وسُلِّمت المدينة يوم الجمعة في السابع والعشرين من رجب، وكان يوماً مشهوداً، ورفعت الأعلام الإسلامية على أسوارها. وأول عمل قام به صلاح الدين إزالة الأوساخ المتراكمة عن الصخرة المشرفة، وجاء في كتب التاريخ أنه بدأ نفسه بتنظيفها، وتبعه بقية القادة والجنود، ثم غُسِلت الصخرة وعُطِّرت. وقد شارك بنفسه في نقل الأحجار من المقالع. قال مجير الدين الحنبلي: (وكان يحمل على قربوس سرجه ويخرج الناس لموافقته على حمل الحجر إلى موضع البناء، ويتولى ذلك بنفسه وبجماعة خواص الأمراء، ويجتمع لذلك العلماء والقضاة والصوفية والأولياء وحواشي العساكر وعوام الناس، فبني (السور) في أقرب مدة ما يتعذر بناؤه في سنين).

وقد حاول الفرنج استعادة بيت المقدس للاستعمار الصليبي عندما قدم ملوك أوروبا وعلى رأسهم ريتشارد ملك بريطانيا وملك فرنسا. لكنهم فشلوا وخسروا معركة فاصلة مع صلاح الدين، وبعد وفاة صلاح الدين ظل أبناؤه يتولونها ويقيمون فيها المدارس الفقهية. وعندما تسلم الكامل ولايتها عقد اتفاقاً مع ملك الفرنجة على أن يسلمه إياها فتسلمها لمدة، ثم استردها الملك الناصر داود ابن أخي الكامل. . وقد بلغ عدد السنين التي دخلت القدس فيها تحت سيطرة الفرنجة99 سنة. ثم دخلت القدس في حوزة المماليك في سنة 650هـ ـ 1253 إفرنجي. وقد اهتموا بها فأقاموا المدارس وأجروا تعميرات على قبة الصخرة والمسجد الأقصى، وغدت القدس في زمن المماليك مركزاً من أهم المراكز العلمية ثم جاء حكم الترك للبلاد العربية ليستمر أربعة قرون، وخلالها بدأ التسرب اليهودي إلى فلسطين من جديد حتى سقوط الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى. ودخول الإنجليز إلى البلاد العربية ووضعها تحت الانتداب.

الخاتمة

وتبقى القدس مركز الصراع الكوني القادم، الصراع بين قوى الظلام والصهيونية، وقوى الحق والنور، قوى العروبة والإسلام والإنسانية.

لم تشهد مدينة في العالم العربي والإسلامي ما شهدته القدس عبر التاريخ. فمنذ أكثر من ثلاثة آلاف عام والقدس تتعرض للغزو وتتصدى للغزاة. تسيل الدماء وتهدم الأسوار ويهجّر الإنسان. وفي كل غزوة تتحطم الجيوش في القدس وحول القدس. ويظل الصراع دموياً محتدماً ما وجد غزاة طامعون.

والصهيونية ومنذ حركاتها الأولى في منتصف القرن التاسع عشر، ومروراً بالحركة الصهيونية السياسية المنظمة بعد مؤتمر بال 1897 شكلت للعالم الغربي الصليبي رأس حربة موجهة للأمة العربية والإسلامية، واندمجت الرؤية الصهيونية بالرؤية الغربية، وشكلت تحالفاً استعمارياً لا تنفك عراه، كلاهما نبتتا من منبت واحد. وكلاهما تتبنيان فلسفة واحدة وتوجهاً أيديولوجياً واحداً. وعندما زرع الاستعمار الكيان الصهيوني كان يدرك أن الأمة العربية لابد يوماً أن تنهض، وأن الأمة الإسلامية لابد يوماً أن تصحو، لذلك يجب أن يكون هناك في قلب الأمة العربية وقلب أرضها كيان ذو عقيدة مختلفة مناقضة، وذو أفكار مختلفة، وذو توجُّه مختلف، ليشق الأمة وأرضها، ويشغلها عن التقدم الحضاري والوحدة العربية والإسلامية التي ينشدها كل عربي وكل مسلم.

والقدس التي هي رمز أساسي من رموز وحدة الأمة وتاريخها وحضارتها يجب أن تكون في أيدي الصهيونية حسب المنظور الغربي الصهيوني المتحالف؛ لتطعن الأمة في القلب والصميم، ولتشق الأمة شقاً قاسياً.

على مدى التاريخ كانت القدس نقطة الوسط بين المشرق العربي ومغربه، وكانت نقطة التحول التاريخي للأمة. في فلسطين اندحر الاستعمار الروماني البغيض، وفيها انكسر الغزاة الإفرنج إلى غير رجعة، وعلى بطاحها انطحن المغول والتتار. لقد كانت مركز السلام الكوني ومركز الصراع الكوني، وستبقى كذلك؛ لأنها المقدسة الوحيدة التي تئن لها الجراح العربية والإسلامية، ولأنها الوحيدة التي كلما تذكرها العربي والمسلم كاد يسقط مقهوراً حزناً وألماً لحالها الذي هي عليه.

لقد ضحت الأمة من أجل القدس بأبنائها وأموالها. دافعت عن الأقصى بالصدور، بالحجارة، بالعصي وبكل سلاح. والصدامات الدموية تتجدد يوماً بعد يوم إلى ما شاء الله.

في شهر آب عام 1929 خرج عشرات الآلاف من المسلمين العرب متصدين للصهاينة الذين أرادوا الاستيلاء على حائط البراق. 123 يهودياً يُقتَلون، 91 من العرب يستشهدون، 339 يهودياً يجرحون، و 181 من العرب يصابون.

وشملت الثورة القدس ونابلس والخليل. وينحاز الاستعمار البريطاني البغيض إلى جانب الصهاينة، فيعتقل المئات من العرب، وينفذ حكم الإعدام بعطا الزير، وفؤاد حجازي، ومحمد جمجوم، ويُعذَب آخرون. قوات بريطانيا لم تستطع أن توقف المد الجهادي، فاستعانت بقوات إضافية من مصر، وجاءتها على وجه السرعة لتنفذ سياستها الرامية إلى قمع العرب وقتلهم. ومن أجل القدس جاءها العرب والمسلمون عام 1931، وعقدوا مؤتمراً عظيماً حضره المسلمون من باكستان والهند وإيران وتركيا. حضره محمد إقبال الفيلسوف الإسلامي المعروف، ومحمد حسين آل كاشف الغطاء، كبير مجتهدي الشيعة، وقد أَمَّ المسلمين جميعاً في المسجد الأقصى، ومحمد رشيد رضا، وضياء طباطبائي رئيس وزراء إيران آنذاك، وعبد العزيز الثعالبي الزعيم التونسي، والزعيم شوكت علي الهندي، وحضره شكري القوتلي، ومحمد علي علوبة، وسعيد الجزائري ورياض الصلح، وغيرهم كثيرون،

حتى بلغ عددهم 145 عضواً، وراح المد الجهادي يشتعل من أجل القدس وفلسطين. قامت الثورة الكبرى عام 1935 حتى عام 1939، استشهد فيها القسام البطل العربي المجاهد، وقضى فيها الكثيرون شهداء في سبيلها وسبيل الحق، ومن أجلها قام إضراب الشهور الستة.. واستشهد عبد القادر الحسيني وكذا المجاهدون الذين جادوا بأرواحهم في سبيل تراب القدس المقدس.

ولأن القدس مركز الصراع كانت المؤامرة على فلسطين دولية الطابع. وكان الغدر البريطاني سافراً، وكانت اللاأخلاقية اليهودية في أوْجِها. وكانت النظرة العربية السياسية متخلفة جاهلة، وكانت الخلافات العربية على أشدها، وعلى الرغم من ذلك فقد كانت المعركة ضد الصهاينة معركة عربية، وكانت البطولات عربية.

ومن أجل القدس ظل الشعب العربي يقدم التضحيات تلو التضحيات.

منذ عام 1948 عام النكبة احتل الصهاينة الجهات الغربية من القدس وراحوا يقيمون أحدث المستوطنات وأوسعها. وظلوا يعملون حسب منظورهم حتى أتت حرب 1967، فكانت النكسة، ووقعت القدس أسيرة حزينة بيد قوات الصهيونية الغازية. كان احتلال القدس بالنسبة للغرب الصليبي بلسماً شافياً؛ لأن سقوطها يعني انتصار الصليبية من جديد. فالجنرال اللنبي يدخل القدس ويعلنها على الملأ.. ها قد عدنا.. والجنرال غورو يدخل دمشق ويقف بجانب قبر صلاح الدين، محرر القدس من الصليبيين ويقول ها قد عدنا يا صلاح الدين.

سقوط القدس يعني بالنسبة للصهيونية غير اليهودية تحقيقاً لنبوءات العهد القديم وللصهيونية اليهودية يعني عودة الهجمة العبرانية من جديد، وانتصار يوشع على أهل فلسطين. تسقط القدس، ويعم الحزن في العالمين: العربي والإسلامي، لقد سقطت شقيقة مكة، وسقط المسجد الأقصى شقيق المسجد الحرام. ويعلنها بن غوريون ودايان وإشكول وحاخامات الأساطير التوراتية. ها هي القدس بين أيدينا ولن نخرج منها.

ومنذ 1967 قامت قيامة تهويد المدينة. استولى اليهود على كل بيت أهلُه مرحلون أو غائبون، ومُنع الغائبون من العودة إلى بيوتهم. آلاف البيوت السكنية الجاهزة أقيمت هنا وهناك، وعشرات الألوف من المستوطنين اليهود يوطّنون فيها. وأخذوا يهدمون الآثار الإسلامية ويزيلونها من الوجود، ومئات المدارس الإسلامية الفقهية أزيلت عن أرض القدس، وجرفت الجبال المحيطة وسويت أرضها لتقوم عليها المستوطنات الكبرى. وبات العرب قلة قليلة في المدينة.

وحتى يزول المسجد الأقصى أقدموا على حرقه عام 1968، وتكررت محاولات نسفه حتى بلغت العشرات، وراحت الجرافات والحفارات تقيم حول الأقصى وأسواره الحفريات الكبيرة التي تصل إلى أعماق الأرض بحثاً عن سراب الهيكل المزعوم. يحفرون الأنفاق تحت المسجد حتى يتهاوى ويقيموا مكانه رمز استعمارهم الهيكل الثالث، ويقيموا القدس الكبرى، ويقدموا هدية القدس مجسمة مصغرة ومحذوفاً منها المسجد الأقصى، ومقاماً عليها بناء الهيكل اليهودي المزعوم.

يرتكبون أبشع المجازر بحق المسلمين، وفي كل مجزرة يذهب عشرات الأبرياء ضحايا الرصاص اليهودي. وكل ذلك من أجل القضاء على الرابطة الوثيقة بين المسلمين وقبلتهم الأولى، والقضاء على هذا الرمز الإسلامي العظيم.

ومن أجل عروبة القدس وإسلامها قدم الشعب الفلسطيني أبناءه شهداء وجرحى ومجاهدين، واليوم، وبعد أن بلغ السيل الزبى تعلو وتعلو صرخة القدس لتصل مسامع المسلمين والعرب جميعاً. ويغلي المرجل لحظة بعد لحظة، والبركان الذي تموج حممه تحت الأرض يوشك على الإقلاع. فلن تبقى القدس أسيرة الصهاينة. إن القرآن الكريم يستصرخ كل حُرٍ أبي أن يأخذ مكانه في صفوف المجاهدين حتى يتم إنقاذ المسجد الأقصى وتحريره من دنس الغزاة.

المصادر والمراجع

1 ـ القرآن الكريم .

2 ـ صحيح البخاري ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة 1399هـ ـ 1979 إفرنجي .

3 ـ صحيح مسلم .

4 ـ سنن الستة .

5 ـ السيوطي : الدر المنثور في التفسير المأثور المجلد ـ دار الكتب العلمية بيروت 1990 .

6 ـ سعيد حوى من جند الله نقلاً عن المنهج للدكتور الشهيد فتحي الشقاقي دون تاريخ .

7 ـ محمد سعيد رمضان البوطي ، فقه السيرة ـ دمشق ـ بيروت دار الفكر 1990 .

8 ـ أحمد حجازي السقا ، نقد التوراة ، أسفار موسى الخمسة ـ مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة 1976 .

9 ـ تاريخ الطبري .

10 ـ ابن الأثير الكامل في التاريخ ـ دار صادر بيروت 1982 .

11 ـ محمد حسن شاب ، بيت المقدس والمسجد الأقصى ـ دار القلم دمشق 1994 .

12 ـ احمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ـ دار الاعتدال دمشق .

13 ـ روجيه غارودي : فلسطين أرض الرسالات السماوية ـ دار طلاس دمشق 1991 .

14 ـ شريف محمد قاسم ، الإسلام والمسيحية في الميزانية ـ مؤسسة الوفاء بيروت 1988 .

15 ـ الآثار الإسلامية الأولى كريزويل ـ دار قتيبة دمشق 1984 ـ 1404هـ .

16 ـ ول . ديوراوات قصة الحضارة ، الجزء الثالث .

17 ـ ت : مفيد عرنوق ، اللآليء ، نصوص من الكنعانية ـ دار النهار بيروت .

18 ـ التوراة . العهد القديم . منشورات دار الكتاب المقدس ـ دمشق 1980 .

19 ـ الإنجيل العهد الجديد منشورات دار الكتاب المقدس ـ دمشق 1980 .

20 ـ قاموس الكتاب المقدس ، منشورات دار الكتاب المقدس ـ دمشق 1980 .

21 ـ كاثلين كانون . الكتاب المقدس والمكتشفات الآثارية الحديثة ـ دار الجليل دمشق 1987 .

22 ـ م . ريجسكي . ترجمة آحو يوسف أنبياء التوراة والنبوءات دار الينابيع دمشق 1993 .

23 ـ مصطفى مراد الدباغ . بلادنا فلسطين الجزء العاشر القسم الأول رابطة الجامعين في الخليل 1974 .

24 ـ النفوذ الصهيوني في السياسة الفرنسية ، كتاب رسالة الجهاد . مالطا 1988 .

25 ـ يوميات هرتزل ـ مركز الأبحاث الفلسطينية بيروت 1968 .

26 ـ ناحوم غولدمان . إسرائيل إلى أين؟ ـ منشورات فلسطينية المحتلة 1978 .

27 ـ ميخائيل زوبوروف . الصليبيون في الشرق ـ دار التقدم . موسكو .

28 ـ الفكرة الصهيونية ، النصوص الأساسية ـ بيروت . مركز الأبحاث الفلسطينية 1968 .

29 ـ الصانداي تايمز 15/ 6/ 1969 .

30 ـ جيروزاليم بوست 10/ 8/ 1967 .

31 ـ جريدة الحياة مقال لـ محمد عثمان 4/ 2/ 1994 .

32 ـ مجلة رسالة الجهاد الليبي . العدد 85 ـ 1985 .

صدر للمؤلف

1 ـ من الجرح يبتدئ البرق، مجموعة شعرية بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب 1977 دمشق.

2 ـ الفكرة الصهيونية والأدب العنصري، دراسة، دار الأمام البخاري دمشق 1978.

3 ـ الأغنية الشعبية الفلسطينية. دراسة. دار الجليل دمشق ط1 عام 1978 ط2، 1986.

4 ـ مسافر زادي معي. مجموعة شعرية. ابلتعاون مع اتحاد العرب 1985 دمشق.

5 ـ الميثولوجيا الكنعانية والاعتصاب التوراتي. دراسة. دار الجليل دمشق 1986.

6 ـ المعتقدات الشعبية في التراث العربي بالاشتراك مع محمد توفيق السهلي. دراسة. دار الجليل دمشق 1987.

7 ـ أغاني وألعاب الأطفال في التراث الشعبي. دراسة. دار الجليل. دمشق 1987.

8 ـ العرس الفلسطيني. دراسة. دار المبتدأ ـ لبنان 1996.

9 ـ منهج الجهاد القرآني. مؤسسة مي للطباعة والنشر ـ بيروت. دارسة ط1، 1989، ط2، 1992.

10 ـ الإنسان في ميزان القرآن. دراسة. جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا ط1، 1990، ط2، 1992.

11 ـ العقائد الوثنية في الديانة اليهودية‌ز دراسة. دار قتيبة. دمشق 1990.

12 ـ التربية الصهيونية. من عنصرية التوراة إلى دموية الاحتلال. دار قتيبة. دراسة 1991.

13 ـ بروتوكولات صهيون من التنظير إلى التدمير. دراسة. دار قتيبة ط1، 1991.

14 ـ موقف الإسلام من السحر والخرافة. دراسة. دار حطين بدمشق 1994.

15 ـ زحف العنصرية ومواجهة الإسلام. دراسة. دار قتيبة ط1، 1995.

16 ـ مولد محمد مفتاح التاريخ الإسلامي، فادي برس لندن 1996 دراسة.

17 ـ الأماكن الإسلامية المقدسة حق المسلمين الضائع دراسة مؤسسة ذي قار لندن 1996 .

18 ـ عز الدين القسام شيخ المجاهدين . دراسة مبسطة . دار الوسيم دمشق 1994 .

19 ـ البيت الفلسطيني . دراسة مبسطة . دار الوسيم دمشق 1994 .

20 ـ القرآن وحوار العقل . دراسة . جمعية الدعوة الإسلامية . 1997 .

21 ـ حقوق الإنسان بين الفلسفة والأديان . جمعية الدعوة الإسلامية . دراسة 1997 .

22 ـ القرآن والتوراة . أين يتفقان وأين يفترقان ، ثلاثة أجزاء ، دار قتيبة ، ص 1999 ـ طبعة 2/ 2001 .

23 ـ العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل ، جزءان ، دار قتيبة ، 2000 ـ 2001 .

24 ـ عبدة الشيطان وحركات انحرافية أخرى ، دار قتيبة ، دمشق 2001 .

25 ـ القدس في ظل الدولة الإسلامية ، القيادة الشعبية الإسلامية العالمية ، طرابلس ـ ليبيا 2001 .

26 ـ القدس ومكانتها في القرآن الكريم والسنة النبيوية ، القيادة الشعبية الإسلامية العالمية ، طرابلس ـ ليبيا 2001 .

27 ـ القدس بين مشروعية الجهاد والخضوع لأعداء الإسلام ، القيادة الشعبية الإسلامية العالمية ، طرابلس ـ ليبيا 2001 .

28 ـ صدام الحضارات حتمية قدرية أم لوثة بشرية ، دار قتيبة 2002 ط 1 .

29 ـ ختم النبوة وآفاق المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، طرابلس ـ ليبيا ، 2000 .

30 ـ العمليات الاستشهادية ـ دار قتيبة ـ دمشق 2002 .